ونستون ليونارد سبنسر تشرشل

Winston Leonard Spencer CHURCHILL

٣٠ نوفبر سنة ١٨٧٤ — ٢٤ يناير سنة ١٩٦٥

مولده ونشأته :

ولد ونستون ليونارد سبنسر تشرشل فى الثلاثين من شهر نوفبر سنة ١٨٧٤ فى « بلنهام بالاس » . والده اللورد راندولف تشرشل .

كان اللورد راندولف تشرشل الابن الثالث للدوق السابع لمارلبارا ، من السياسيين الذين أسسوا حزب « التورى الديموقراطيين » ، وأصبح أحد زعمائه . أما والدة ونستون فكانت ابنه لرجل أعمال أمريكى اسمه « ليونارد جيروم » ، كان يعمل فى ميدان المال فى نيويورك حيث جمع ثروة كبيرة ثم فقدها .

كان ونستون منذ طفولته مشكلة بالنسبة لوالده فقد كان طفلا عزوفاً عن الدراسة ، عنيداً ولا يحب إطاعة أوامر أحد ، كان يتعثر فى الحصول على الأجازة الدراسية التى تسمح له بالإعداد لكى يكون محامياً طبقاً لما رسمه له والده ، ولكن الطفل ونستون كان مولعاً بجمع اللعب التى تمثل الجنود وصفها وتكوين جيش منها يقابل جيشاً آخر يقوده أخوه الأصغر منه ، ويقف ونستون ليدير المعركة بين الجيشين .

لما يئس والده من حصول ولده ونستون على إجازة القانون ولمس فيه هذا الميل الشديد لشئون الحرب سأله فى يوم ما عما إذا كان يريد أن يلتحق بالجيش فلم يكن هناك أسعد منه عندما قبل فوراً .

التحق ونستون بكلية « هارو » معهد أبناء الارستقراطيين ، أما كيف الحق بتلك الكلية فلا أحد يعلم لأن مؤهلاته الدراسية لم تكن تؤهله للالتحاق بها سوى مقدرته الفائقة على أستيعاب الشعر بذاكرة قوية .

وتاريخ دراسات تشرشل المدرسية يعتبر عزاءاً للشباب الذى لا يوفق فى دراسته فقد كان تشرشل يمقت دراسة اللغة اللاتينية ويرى فى دراسة اللغة اليونانية القديمة مضيعة للوقت لا طائل من ورائها . كان يهرب من دراسة الرياضيات ويكرهها كراهية شديدة . لقد كان آخر طالب فى ترتيب الفصل فى كلية « هارو » وكان غير سعيد على الإطلاق بالبقاء فيها .

تقدم ونستون إلى أمتحان القبول لمدرسة ساند هيرست العسكرية فرسب ثلاث مرات قبل أن يقبل بها ، وقد قبل والده أن يلحقه بتلك المدرسة بعد أن أستولى عليه الاعتقاد بأنه لا يصلح لأية مهنة أخرى .

وفى ساند هيرست أنقلب الشاب العنيد المترف الكسول إلى شخص مختلف تماماً . لم يظهر ونستون أمتيازاً فى دراساته العسكرية فقط بل بدأ يهتم أهتماماً خاصاً بالشئون السياسية التى كان يمارسها والده . كان يختلف كثيراً مع والده ولكن كان يشاركه فى جهوده لتحويل حزب « التورى » إلى حزب تقدمى .

مات لورد راند ولف عندما بلغ ونستون الحادية والعشرين من عمره وبقيت له والدته وكانت لا تزال فى سن الأربعين ، سيدة على جانب كبير من الجمال والاناقة ، يقول ونستون عنها أنها كانت تعامله معاملة الأخ وكان هو يعاملها معاملة الأخت .

أنهى ونستون تشرشل دراسته العسكرية فى آخر عام ١٨٩٤ وعين ضابطاً بالجيش ولكنه لم يكن يريد أن يصبح ضابطاً فقط بل ضابطاً محارباً ، ولذلك فقد سافر فى أجازته الصيفية عام ١٨٩٥ إلى كوبا ليحارب فى صفوف قوات الحكومة الأسبانية ضد الثوار الكوبيين ، وكان يحصل على نفقاته من مكافأة كان يتقاضاها نظير رسائل حربية كان يبعث بها إلى صحيفة « ديلى جرافيك » .

فى سنة ١٨٩٦ أنتقل ونستون تشرشل مع فرقته إلى الهند وأخذ يراسل نفس الصحيفة ثم ألف كتاباً عن المهمة التى سافرت فرقته إلى الهند من أجلها . نال الكتاب إقبالا وجلب له بعض المال والشهرة ولكن الكتاب

جلب عليه أيضاً غضب السلطات العسكرية البريطانية فى الهند لما أحتواه من نقد لها على سوء إدارتها ، ولم يكن مألوفاً فى تقاليد العسكرية البريطانية أن يجمع الضابط بين عمله ومراسلة الصحف .

فى سنة ١٩٩٨ قام كتشنر ومعه حملة عسكرية إلى السودان لإخماد ثورة الدراويش وأراد تشرشل الانضمام إلى الحملة ولكن كتشنر عارض فى انضمامه لأنه لا يريد « هذا الشاب سليل النبلاء الارستقراطيين الذى يراسل الصحف لينقد رؤساءه » ، ورغماً من معارضة كتشنر فقد تمكن تشرشل من الانضمام إلى الحملة والحق بالفرقة الحادية والعشرين للفرسان (لانسرز) بشرط أن يتحمل نفقات سفره ، وقد تمكن تشرشل من تدبير تلك النفقات عندما عينته صحيفة « مورننج بوست » مراسلا حربياً لها . فى ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ أشترك تشرشل فى معركة أم درمان التى قضى الدراويش فيها على أكثر من ربع الكتيبة التى كان تشرشل يحارب فى صفوفها ولكنه نجا وعاد إلى لندن حيث ألف كتاباً بعنوان « حرب النهر » فى جزء ين ونال هذا الكتاب أيضاً إقبالا وجلب له ربحاً .

فى تلك السنوات الأخيرة أحس تشرشل بأنه لم يدرس بما فيه الكفاية فانكب على القراءه وعندما عاد إلى لندن أراد العودة إلى الدراسة من جديد وحاول الالتحاق بكلية أكسفورد ولكن الكلية رفضت طلبه لتقدم سنه فقرر أن يترك الجيش ويعمل بالسياسة معتمداً فى كسب قوته على قدرته على الكتابة التى أصبح يتكسب منها أضعاف ما كان يحصل عليه من مرتب من الجيش .

فى سنة ١٨٩٩ رشح تشرشل نفسه لعضوية مجلس العموم عن دائرة « اولد هام » فى أنتخابات فرعية ولكنه فشل ، وعندما نشبت حرب البوير فى خريف سنة ١٨٩٩ أسرع تشرشل إلى الترنسفال ليكون مراسلا حربياً عنها لصحيفة « المورننج بوست » .

حدث عندما أستقل قطاراً مسلحاً دخل إلى أراضى البوير أن وقع

هذا القطار فى كمين نصبه البوير فقبض على تشرشل فى ١٥ نوفبر من نفس العام وأخذ أسيراً إلى بريتوريا ولكنه تمكن من الهرب من السجن ولجأ إلى أراضى شرق أفريقيا البرتغالية ومنها إلى دربان ، وقد أعلن البوير بعد هروبه عن مكافأة قدرها خمسة وعشرون جنيها للقبض عليه حياً أو ميتاً ولكنه تمكن من العودة إلى بريطانيا للاشتغال بالسياسة من جديد .

ومن المصادفات أن الضابط الذى قبض على تشرشل وأخذه أسيراً يوم ١٥ نوفبر واسمه « بوثا » قد أرتفع فى الحياة السياسية فى جنوب أفريقيا وأصبح هو وتشرشل بعد ذلك صديقان .

فى سنة ١٩٠٠ فاز تشرشل فى الانتخابات العامة لمجلس العموم عن دائرة « أولد هام » على مبادئ حزب المحافظين ولفت الأنظار فى المجلس بقدراته الخطابية وفى نصرته للحريات ولذلك فقد أختلف فى سنة ١٩٠٣ مع جوزيف تشمبرلين زعيم المحافظين وعارضه فى المجلس ثم ترك حزب المحافظين لكى ينضم إلى صديقه لويد جورج فى حزب الأحرار .

فى نهاية سنة ١٩٠٥ أنقسم حزب المحافظين على نفسه وأستقالت حكومة المحافظين . وفى الانتخابات العامة لسنة ١٩٠٦ فاز حزب الأحرار فوزاً كبيراً وأنتخب تشرشل عضواً بمجلس العموم عن دائرة مانشستر الشمالية الغربية على مبادئ حزب الأحرار وعين وكيلا لوزارة المستعمرات ، وهو الذى تبنى فى مجلس العموم مشروع منح الترنسفال الحكم الذاتى .

فى سنة ١٩٠٨ وكان قد بلغ من العمر أربعة وثلاثين عاما عين تشرشل رئيساً لهيئة التجارة الخارجية (وزارة التجارة الخارجية) على أثر تعيين لويد جورج وزيراً للخزانة ولكنه فشل فى الاحتفاظ بعضويته فى مجلس العموم عن دائرته الانتخابية مانسشتر ، إلا أنه فاز بعضوية المجلس فى دائرة « داندى » . وفى دائرة داندى هذة قابل « كليمنتين هوزيار » حفيدة الكونتيسه آرلاى وتزوجها . وفى كلمات تشرشل نفسه « عاشا فى سعادة دائمة بعد ذلك » .

فى سنة ١٩١٠ عين تشرشل وزيراً للداخلية وأستصدر قانون مناجم الفحم لتحسين الأمان لعمال المناجم وأدخل نظام الحمامات فى المناجم ووضع نظام تنفيذ التأمين ضد البطالة من مشروع قانون التأمين العام الذى وضعه لويد جورج .

أنتقل تشرشل فى نوفبر سنة ١٩١١ من وزارة الداخلية ليتولى منصب وزير البحرية ، وفى وزارة البحرية وضع برنامجاً لبناء سفن حربية جديدة ، وفى صيف سنة ١٩١٤ عندما أحس بخطر نشوب الحرب العالمية الأولى نظم عرضاً بحرياً ضخماً للأسطول البريطانى وأمر بأن يكون الأسطول على أهبة الاستعداد بصفة مستديمة دون أن يحصل على ترخيص بذلك من الوزارة البريطانية ، وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى كان الفضل يرجع إلى تشرشل فى وجود الأسطول البريطانى على أهبة الاستعداد ، إذ تمكن فى الشهور القليلة الأولى من الحرب من تطهير بحار العالم من السفن الحربية الألمانية ومن السفن الحربية المعادية لبريطانيا ، وإلى تشرشل أيضاً يرجع الفضل فى تنظيم السلاح الجوى للأسطول البريطانى بقصد حماية شواطىء الجزر البريطانية .

خطط تشرشل هجوماً برمائى على تركيا عبر الدردنيل ولكن كتشنر خالفه فى خطة الغزو محافظة على حياة الجنود وترك سلاح البحرية البريطانية يتحمل شدة الهجوم ثم فشله ، والتى على تشرشل اللوم لفشل الحملة (فشل حملة الحلفاء للاستيلاء على جاليبولى سنة ١٩١٥) .

عندما شكلت الحكومة الائتلافية البريطانية الأولى فى شهر مايو سنة ١٩١٥ صمم حزب المحافظين على أن يترك تشرشل وزارة البحرية إلى منصب ثانوى هو وزير دوقية لانكستر ولكن تشرشل بادر بتقديم أستقالته وطلب أن يتولى أحدى القيادات فى الحملة البريطانية إلى فرنسا فأجيب إلى طلبه والحق بفرق حرس المشاه (جرينادير جاردز) التى أعتبرته سياسياً غير مقبول . حدث أن أستدعاه قائد الفرقة وكان برتبة جنرال لكى يرى كيف يحييه وزير سابق فى الوزارة يعمل تحت إمرته ، وبينما كان تشرشل

على موعده مع الجنرال بجانب الخندق أصيب الخندق بقنبلة ولكن تشرشل نجا . بقى تشرشل على خط المواجهة بضعة أشهر ثم أستغنى عن خدماته فعاد إلى وستمنستر .

تولى لويد جورج رئاسة الوزارة البريطانية فى نهاية عام ١٩١٦ وأراد أن يضم تشرشل إلى الوزارة فاعترض حزب المحافظين فى بادئ الأمر ولكن لويد جورج تمكن فى شهر يوليه من العام التالى من أن يعين تشرشل وزيراً لإنتاج الذخيرة وفى نهاية الحرب تولى تشرشل وزارة الحرب لكى يشرف على تسريح أفراد القوات المسلحة . أستغل تشرشل منصبه فى هذه الفترة لكى يساعد قوات روسيا البيضاء فى حربها ضد البلشفيك فى روسيا .

عندما أنتهى الائتلاف الوزارى فى أكتوبر سنة ١٩٢٢ فشل تشرشل فى الانتخابات العامة التى أجريت بعد ذلك ، وعندما أيد حزب الأحرار حزب العمال ونتج عن هذا التأييد أن تمكن حزب العمال من تأليف الوزارة البريطانية ترك تشرشل حزب الأحرار وعاد إلى حظيرة حزب المحافظين رغما عما كان يدين به من مبادئ الإصلاح الاجتماعى ، ولكنه كان عدوا لدوداً للمبادئ الاشتراكية .

فى فبراير سنة ١٩٢٤ تقدم لترشيح نفسه فى أنتخابات فرعية عن دائرة وستمنستر ولكنه فشل ، غير أنه فى الانتخابات العامة التى أجريت فى خريف نفس العام تقدم لترشيح نفسه عن دائرة « ابينج » على مبادئ حزب المحافظين فانتخب ، ولما فاز حزب المحافظين فى هذه الانتخابات العامة عين فى وزارتهم وزيراً للخزانة ، ولم يكن موفقاً فى هذا المنصب إذ أنه قرر فى العام التالى ، أى فى سنة ١٩٢٥ ، بوصفه وزيراً للخزانة ، العودة إلى قاعدة الذهب . نتيجة لهذا الاجراء المالى أضطربت السوق المالية وحدث أضراب عام ١٩٢٦ وتوقف إنتاج الفحم .

فشلت حكومة المحافظين فى الانتخابات العامة التى أجريت سنة ١٩٢٩ وعاد حزب العمال إلى الحكم وأخذ تشرشل يهاجم رئيس الوزراء رامزى ماكدونالد فى صحيفة المورننج بوست ، كما هاجم بولدوين بشأن مؤتمر المائدة المستديرة الذى كان يناقش موضوع منح الهند الحكم الذاتى .

عندما أشتدت الضائقة المالية سنة ١٩٣١ الفت وزارة وطنية ولم يدع تشرشل إلى الاشتراك فيها فأخذ يمضى وقته فى كتابة الكتب ورسم الصور بالألوان المائية وبناء الحوائط ، وهى هواياته الثلاث . من أهم كتبه التى نالت نجاحاً كبيراً فى تلك الفترة كتاباته عن الحرب العالمية الأولى وعن حياة « مارلبارا » وكان يوقع رسوماته باسم « تشارلز مورين » وكان يعرضها فى باريس وقد حصل من بيعها على دخل طيب .

بقى تشرشل أحد عشر عاما من سنة ١٩٢٩ على هامش السلطة وكانت تلك السنوات بالنسبة إليه سنوات كئيبة موحشة . كان يتحدث فى مجلس العموم ويدعو إلى دعم عصبة الأمم دعماً قوياً كما كان يدعو إلى تدعيم القوات البريطانية المسلحة لتكون على أستعداد تام لصد كل أعتداء ولكن لم يستمع إليه أحد . فى سنة ١٩٣٣ قام من مقعده فى مجلس العموم . دون كافة السياسيين البريطانيين — ليحذر من تولى هتلر السلطة فى ألمانيا ويعيد ويكرر المخاطر التى ستؤدى إلى ذلك ومحذراً من تسليح ألمانيا ، ولكن لم يأبه بأقواله أحد ، كما ظهرت فى تلك الفترة ميوله الاستعمارية .

عندما حل تشمبرلن محل إيدن فى وزارة الخارجية فى فبراير سنة ١٩٣٨ قال تشرشل فى مجلس العموم « أننى أتوقع أنه سيأتى اليوم الذى سيتحتم عليكم فيه أن تتخذوا موقفاً ، وأننى أدعوا الله أنه عندما يأتى هذا اليوم أن لا نضطر لأن نتخذ هذا الموقف بمفردنا » . تحققت نبؤة تشرشل وكان على بريطانيا فى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ أن تتخذ هذا الموقف وأسرع تشمبرلن إلى إعادة تشكيل حكومته وتعيين تشرشل وزيراً للبحرية فيها . كان الأسطول البريطانى فى الستة الأشهر الأولى من الحرب العالمية الثانية هو الذى يدخل المعارك فعلا ، كان سلاح الطيران البريطانى يسقط منشورات بدلا من القنابل وقبع الجيش البريطانى فى خنادقه على أرض فرنسا أنتظاراً لهجوم الألمان .

تشرشل رئيساً للوزارة البريطانية :

عندما غزا الألمان الدانمارك والنرويج فقد تشمبرلن رئيس الوزارة البريطانية وقتذاك أعصابه وأثار تردده فى مواجهة الموقف العسكرى سخط

الرأى العام البريطانى وأنقلب عليه مؤيدوه فى مجلس العموم ، وعندما هاجم الألمان هولندا وبلجيكا بادر تشمبرلن فى ١١ ماو سنة ١٩٤٠ بتقديم أستقالته فدعى ونستون تشرشل لتشكيل وزارة حرب .

ورث تشرشل موقفاً لا يحسد عليه . كانت القوات البريطانية فى فرنسا ومعها القوات الفرنسية التى تقدمت لمعونة البلجيكيين والهولنديين قد شطرت قسمين بهجوم خاطف لقوات البانسر الألمانية الزاحفة عبر الأردين . سلمت هولندا فى أربعة أيام وسلمت بلجيكا بعدها بأسبوعين ووقف تشرشل فى أول خطاب له فى مجلس العموم يقول « ليس لدى ما أقدمه سوى الدماء والدموع ، العناء والعرق » . تقبل الشعب البريطانى تلك الكلمات عن طيب خاطر لأنها تمثل روح تحدى المخاطر وعدم الاستسلام .

قبل نهاية شهر مايو كانت القوات البريطانية فى فرنسا تنسحب نحو دانكرك وكان القضاء عليها بواسطة جحافل الألمان الزاحفة أمراً لا مفر منه ، وهنا حدثت أول معجزة لتشرشل إذ تمكن من أنقاذ ما يقرب من تسعة أعشار الجنود ، تمكن من أنقاذ ٢٠٠ ألف جندى عادوا إلى بريطانيا لا يحملون سوى البنادق وبعضهم يحمل المدافع الرشاشة . أما خسائر الحملة البريطانية فى فرنسا من السلاح والمعدات فقد كانت باهظة ، فقدت سبعة آلاف طن من الذخيرة و ٩٠ ألف بندقية و ٢٣٠٠ مدفع و ١٢٠ ألف عربة و ٨ آلاف مدفع برن و ٤٠٠ مدفع مضاد للدبابات ، وكان على المصانع البريطانية أن تعوض تلك الخسائر بدون توقف لعدة أشهر .

تشرشل يحاول إقناع زعماء فرنسا بعدم عقد الهدنة وعدم الاستسلام للألمان :

بذل تشرشل جهداً كبيراً وقام بمحاولات عدة لمساعدة بول رينو — رئيس وزراء فرنسا وقتئذ — فى إقناع مجلس الوزراء الفرنسى بعدم توقيع هدنة مع الألمان إذ كان كبار العسكريين الفرنسيين (الجنرال فيجان والمريشال بيتان) يدعون إلى عقد تلك الهدنة . بلغت محاولات تشرشل ذروتها عندما أتخذت الوزارة البريطانية قراراً بعرض مشروع وحدة بين بريطانيا وفرنسا وأعدت بياناً بذلك بعثت به على وجه السرعة يوم ١٤ يونيه

سنة ١٩٤٠ (قبل طلب فرنسا الهدنة بثمان وأربعين ساعة) إلى بول رينو وذلك بهدفين ، الأول تعزيز مركز بول رينو وتشجيعه على عدم ترك منصبه وإقناع زملائه بحسن نوايا بريطانيا نحو فرنسا وعدم تمهيد الطرق أمام الماريشال بيتان لتشكيل حكومة عسكرية تطلب الهدنة من الألمان والهدف الثانى عدم إخراج فرنسا وأمبراطوريتها من المعركة وذلك باقتراح أنتقال حكومة بول رينو إلى شمال أفريقيا وأستقرارها فى الامبراطورية الفرنسية فى أفريقيا وبقائها فى ميدان المعركة بجانب بريطانيا . رفض مجلس الوزراء الفرنسى الاقتراح رفضاً باتاً وأثار أغلبية المجلس الشكوك فى نوايا بريطانيا وتغلب الرأى الذى كان يدعو إليه الماريشال بيتان والجنرال فيجان وخاصة بيير لافال بضرورة طلب شروط الهدنة من هتلر ، وتم أمضاء الهدنة فى فى ١٦ يونيه .

وهنا يعبر تشرشل عن روح بريطانيا وعزمها الذى لن تحيد عنه فى المقاومة فى إذاعة إلى الشعب البريطانى سجل بها تلك الروح ، قال « سنحارب على الشواطئ ، سنحارب على أرصفة الموانى ، سنحارب فى الحقول وسنحارب فى الطرقات ، وحتى إذا ما أحتلت هذه الجزيرة أو أحتل جزء كبير منها وتوقفت الحياة فيها ، وهو الأمر الذى لا أعتقده للحظة واحدة ، فإن أمبراطوريتنا فيما وراء البحار وهى التى ستتسلح ويقوم الأسطول البريطانى بحراستها ، ستحمل لواء المعركة حتى يجىء الوقت بعون الله الذى يتقدم فيه العالم الجديد بكل قوته وضخامته لانقاذ العالم القديم وتحريره » .

بعد أنهيار فرنسا وخروجها من الحرب أصبحت بريطانيا تقف وحيدة بمفردها أمام جحافل هتلر وأصبحت كافة موارد غرب أوربا تحت تصرفه ، بعد ذلك بدأت معركة بريطانيا عندما بدأ سلاح الطيران الألمانى بقصف المدن البريطانية تمهيداً لغزو الجزر البريطانية وهنا أيضاً تحدث المعجزة الثانية بعد معجزة دنكرك فقد تمكن سلاح الطيران البريطانى القليل العدد من أسقاط مئات من الطائرات الألمانية المغيرة ، وهنا أيضاً تظهر موهبة تشرشل فى التعبير عندما يصف معركة بريطانيا هذه بقوله « لم يسبق أن حدث فى ميدان النزاع البشرى أن دانت فئة كبيرة لفئة قليلة بالفضل الكثير » .

تشرشل يصمم على إنقاذ قناة السويس من الوقوع بايدى الايطاليين والألمان :

عمد تشرشل باستراتيجية بعيدة النظر إلى المخاطرة بارسال جانب كبير مما تملكه بريطانيا من دبابات ومدافع إلى الجبهة المصرية لإنقاذ قناة السويس من الوقوع فى قبضة موسوليني وهتلر فى الوقت الذى كانت فيه الجزر البريطانية نفسها مهددة بالغزو . هاجم الجيش الإيطالى بقيادة الماريشال رودلفو جراتسيانى الحدود المصرية وتوغل فى الأراضى المصرية مسافة مائة كيلو متر يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩٤٠ حتى وصل إلى مكان أسمه سيدى برانى ولكن الجيش البريطانى المرابط فى دلتا النيل قام بقيادة الجنرال سيرأرشيبالد ويفل فى فجر يوم ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٠ بهجوم على القوات الإيطالية وتمكن فى بحر ستة أيام من طرد كافة تلك القوات من الأراضى المصرية وتحطيم خمس فرق إيطالية وأسر ٣٨ ألف جندى وضابط إيطالى ، وفى شهر فبراير سنة ١٩٤١ كان جيش ويفل قد تقدم خمسمائة ميل وحطم الجيش الإيطالى المكون من تسع فرق وأسر ١٣٠ ألف ضابط وجندى واستولى على ٤٠٠ دبابة و ١٢٩٠ مدفع وأتم أحتلال برقة بأكملها .

فى ١٢ فبراير سنة ١٩٤١ وصل الجنرال « ارفين روميل » إلى طرابلس ومعه هيئة أركان حربه لكى يتولى قيادة القوات الألمانية التى وصلت إلى ليبيا والتى أطلق عليها جيش أفريقيا (افريكاكور) والقوات الإيطالية معا وبدأ من فوره فى الاعداد لايقاف تقدم قوات الجنرال ويقل بعد أن حصل من كل من هتلر وموسوليني على تفويض بالتصرف بكامل حريته طبقاً لما يقتضيه الموقف (كان روميل أول قائد ألمانى يصل على رأس فرقته إلى ساحل بحر المانش ويدخل ميناء شربورج فى أعقاب إخلاء قوات الحملة البريطانية فى فرنسا لها ، وقد أستسلمت الميناء له وبها ثلاثون ألف جندى فرنسى أخذوا أسرى وكان يطلق على فرقته هذه « الفانتوم) ، حالف روميل الحظ فآجبر قوات الجنرال ويفل على التقهقر بعد أن أخلت بنى غازى فى شهر أبريل وأنسحبت حتى الحدود المصرية ، ولكن قوات ويفل كانت لا تزال صامدة فى ميناء طبرق غير أنها كانت محصورة تماماً بواسطة قوات روميل .

فى أوائل شهر يونيه سنة ١٩٤١ فشلت محاولات الجنرال ويفل لفك الحصار عن طبرق ، فقرر فى ١٧ يونيه الانسحاب إلى داخل الحدود المصرية أمام هجمات روميل ، ولما كان تشرشل يعتقد أعتقاداً جازماً بأن الدفاع عن مصر يأتى فى المقدمة فقد كانت هزيمة القوات البريطانية أمام روميل والخسائر التى تحملتها ذات وقع شديد عليه فقال ، « لقد مزق روميل أكاليل الغار من على جبين ويفل وقذف بها إلى الرمال » .

فى ٢١ يونيه سنة ١٩٤١ قرر تشرشل نقل الجنرال ويفل إلى قيادة القوات البريطانية فى الهند وتعيين الجنرال أوكنلك مكانه .

كان قد حدث فى ٦ مايو سنة ١٩٤١ ، بعد هزيمة الجنرال ويفل فى برقة أمام روميل ، أن تلقى المستر تشرشل مذكرة من السير جون ديل رئيس هيئة الأركان الامبراطورية جاء بها بأن الدفاع عن مصر لا يأتى فى الأهمية بعد الجزر البريطانية مباشرة لأن الاستراتيجية البريطانية الموضوعة تجعل سنغافورة تأتى فى الأهمية بعد الجزر البريطانية مباشرة . أجابه تشرشل « بأنه إن كان يعتقد بأن الدفاع عن سنغافورة يأتى فى الأهمية قبل الدفاع عن القاهرة فهو كمن يفكر فيمن يقتله ابنه أو أبنته ، من ناحيتى فأننى أعتقد بأنه مهما حدث فى الملايو فإنه لن يرقى إلى خمس الكارثة التى ستحل بنا إذا فقدنا مصر وقناة السويس ، أننى لا أتحمل التفكير فى ترك الدفاع عن مصر » .

تولى الجنرال أوكنلك قيادة القوات الامبراطورية البريطانية فى الشرق الأوسط فى ٢ يوليه سنة ١٩٤١ ، وظلت القوات البريطانية المحصورة فى طبرق تقاوم فى بسالة وقوات روميل تتمهل فى الزحف إلى داخل الحدود المصرية فى أنتظار أستكمال أستعداداتها وظل الجنرال أوكنلك يقاوم ضغط تشرشل المستمر عليه للقيام بهجوم مضاد لكى يستكمل أستعداده إلى أن قرر القيام بهذا الهجوم يوم ١٨ نوفبر من نفس العام . بعد ثمانية أيام تمكن أوكنلك من الاتصال بالحامية المحصورة فى طبرق وانسحب روميل من « باردیا » (شرق طبرق) وواصل أنسحابه بنظام حتى بلدة عجيلة (غرب بنغازى) .

فى شهر يناير سنة ١٩٤٢ قام روميل بهجوم مضاد على نطاق واسع

على جيش أوكنلك وما أن حل شهر يونيه من نفس العام حتى كان روميل قد أندفع بجيوشه داخل الحدود المصرية وأحتل مرسى مطروح وأتخذت جيوش الامبراطورية البريطانية خط دفاع لها عند العلمين .

لم يتمالك تشرشل نفسه إذ وقف فى مجلس العموم يقول ، وهو يستعرض مجريات الحرب فى صحراء مصر الغربية وليبيا فى شهر يناير سنة ١٩٤٢ « أمامنا قائد ماهر شجاع وأسمحوا لى أن أقول وسط دمار الحرب بأنه قائد عظيم » . لم ينج تشرشل من نقد كثير وجه إليه من الرأى العام البريطانى بسبب هذا التصريح فى وقت الحرب .

كانت هزيمة الجيوش البريطانية تحت قيادة الجنرال أوكنلك والجنرال ريتشى (قائد الجيش الثامن) أمام جيوش روميل شديدة الوطأة على بريطانيا فى وقت كانت فيه فى أمس الحاجة إلى الرجال والعتاد . خسرت بريطانيا أكثر من خمسين ألفاً بين أسير وقتيل وفقدت كميات ضخمة من المدافع والذخيرة والسيارات والمخازن المحتوية على كافة أنواع المعدات ، وعاد الجيش البريطانى إلى مواقعه التى كان فيها قبل سنتين وأصبح جيش رومل يتقدم شرقاً فى سيارات نقل بريطانية تسير ببترول مستولى عليه من الجيش البريطانى وكثيراً ما كانت النار تطلق على جنود الامبرطورية المنسحبين بذخيرة بريطانية . لم يبق إلا أن تتقدم جيوش رومل وجيوش موسولينى بعض الكيلو مترات حتى تتمكن من دخول الاسكندرية ثم القاهرة ، دخول القاهرة على أنقاضها وخرائبها كما قال تشرشل .

كانت خطة بريطانيا فى الدفاع عن قناة السويس التى أستعدت القيادة البريطانية فى القاهرة للتنفيذها تشمل — ضمن ما تشمل — نسف جميع الكبارى وإغراق الأرض أمام جيوش رومل بعرض خمسة أميال بمياه النيل بعد فتح خزان أسوان وبعض الخزانات الأخرى .

فى ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٢ وجه تشرشل إلى المستر « كيزى » الوزير البريطانى المقيم فى الشرق الأوسط ومقره القاهرة التعليمات الآتى نصها : « على كل من أرتدى البدلة العسكرية أن يحارب كما لو كانت « كنت »

أو « سسكس » (مقاطعتان فى انجلترا) قد تعرضتا لغزو العدو . يجب تكوين جماعات لاصطياد دبابات العدو بالقنابل والمدافع . يجب الدفاع عن كل مكان محصن أو مبنى قوى حتى الموت . يجب العمل على أن يكون كل مكان هو مكان أنتصار على العدو وكل خندق هو آخر خندق قبل التقدم ، هذه هى الروح التى يجب عليك أن تضعها فى رؤوس الجميع ، لن يكون هناك جلاء عام أو تفكير من أحد فى الخلاص بنفسه . يجب التمسك بمصر والدفاع عنها مهما بلغت التضحيات » .

كان تشرشل قد تعرض لنقد شديد من بعض أعضاء مجلس العموم البريطانى فى شهر يونيه سنة ١٩٤٢ بعد هزيمة جيوش الامبراطورية أمام رومل فى الصحراء الغربية وتحرج الموقف العسكرى فوقف تشرشل فى المجلس المذكور يقول « ليس لنا الحق فى أن نعتقد بأن النصر مضموناً ، سيكون النصر مضموناً عندما يؤدى كل منا واجبه . أن النقد الذى يوجه إلى الحكومة يجب أن يكون متزناً وبناء أو يوجه إليها فى جلسة مغلقة ، وواجب مجلس العموم إما أن يؤيد الحكومة وإما أن يقرر تغييرها فإن لم يتمكن من تغييرها فعليه أن يؤديها وليس هناك طريق وسط لاتباعه غير ذلك فى وقت الحرب » .

بلغ من أهتمام تشرشل بالدفاع عن مصر أن حضر إلى القاهرة فى ٣ أغسطس سنة ١٩٤٢ ونزل ضيفاً على السفير البريطانى وقتئذ سير مايلز لامبسون وزار القوات البريطانية فى الصحراء الغربية وتفقد أحوالها فى أماكن عدة وفى ٨ أغسطس قرر تعيين الجنرال الكسندر قائداً عاماً فى الشرق الأوسط بدلا من الجنرال أوكنلك ، كما عين الجنرال مونتجمرى قائداً للجيش الثامن الذى يحارب فى الصحراء الغربية بدلا من الجنرال ريتشى وأعطى تعليمات مكتوبة للجنرال الكسندر جاء بها ما نصه « أن مهمتك الأولى وواجبك الرئيسى هو أن تأسر أو تحطم فى أقرب فرصة الجيش الألمانى الإيطالى الذى يغزو مصر بقيادة الفيلد مارشال روميل بكامل تموينه وبكل منشآته فى أرض مصر وليبيا ، يجب أعتبار هذا الأمر على أعظم جانب من الأهمية لمصالح جلالة الملك » .

غادر تشرشل القاهرة متوجهاً إلى موسكو لمقابلة ستالين ولكنه عاد إليها ثانية فى منتصف الشهر نفسه وقام فى ١٩ منه بزيارة مواقع الجيش الثامن فى الصحراء الغربية مرة أخرى كما زار يوم ٢٢ أغسطس ورش الجيش البريطانى فى كهوف جبل طره وكانت تعمل ليل نهار وأصدر أوامره بتسليح جميع موظفى المكاتب التابعة للجيش البريطانى فى القاهرة — وكان عددهم يبلغ عدة آلاف — بالبنادق وأن يتخذوا أماكن لهم للدفاع خلف المنطقة التى ستغمر بمياه النيل ، عند الضرورة ، وترك أرض مصر عائداً إلى لندن فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٢ .

معركة الصحراء الغربية بين الجنرال مونتجمرى والفيلد مارشال روميل :

فى مساء يوم ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٢ وفى ليلة قمرية ساطعة أطلق مونتجومرى النيران من ألف مدفع دفعة واحدة على مواقع مدافع الألمان والطليان لمدة عشرين دقيقة ثم حول نيران مدافعه على خطوط قوات المشاة . كان روميل قد مرض ونقل فى أواخر شهر سبتمبر إلى المستشفى فى المانيا وحل محله الجنرال الألمانى « ستومه » الذى أصيب بنوبة قلبية بعد بدء المعركة بأربع وعشرين ساعة وتوفى على الأثر ، وبناء على أمر هتلر ترك روميل المستشفى وعاد إلى مقر قيادته فى الصحراء يوم ٢٥ أكتوبر . بعد أثنى عشر يوماً تقرر مصير المعركة وأخذ مونتجمرى يطارد الألمان والطليان وروميل يتقهقر أمامه تاركا آلاف الجنود الإيطاليين يتشردون فى الصحراء . كان الفضل الكبير فى هذا النصر لسلاح الطيران البريطانى . أسر مونتجومرى الجنرال « فون توما » مساعد روميل كما أسر تسعة جنرالات إيطاليين وثلاثين ألف جندى مع كميات ضخمة من العتاد الحربى ، وقد أعترف روميل بتفوق مونتجومرى عندما قال : « لقد أظهرت المدفعية البريطانية مرة أخرى تفوقها المشهود به ، وخاصة قدرتها الكبيرة على الحركة وسرعة الرد طبقاً لاحتياجات القوات المهاجمه » .

كان تشرشل قد وعد الجنرال الكسندر فى ٤ نوفبر سنة ١٩٤٢ عندما تقرر مصير المعركة بأنه سيطلب دق أجراس الكنائس فى كافة أنحاء بريطانيا

لأول مرة منذ نشوب الحرب إذا ما بلغ عدد الأسرى عشرين ألفا ، ولما طلب إليه الجنرال الكسندر فى ٦ نوفبر دق الأجراس لأن عدد الأسرى قد تعدى الرقم المطلوب وأنه أستولى على ٣٥٠ دبابة و ٤٠٠ مدفع عاد تشرشل فعدل عن رأيه أنتظاراً للقيام بعملية أنزال القوات فى الجزائر والمغرب وتطهير شمال أفريقيا بأكمله من جنود المحور .

كانت معركة العلمين وأنتصار الجيش الثامن بقيادة مونتجومرى على جيش روميل بداية زحفة المظفر عبر ليبيا بأكملها حتى الحدود التونسية ثم منها إلى إيطاليا فى نصر دائم . لقد قيل بحق « قبل العلمين لم يحصل البريطانيون على نصر ، وبعد العلمين لم يصب البريطانيون بهزيمة » .

بريطانيا تحارب هتلر بمفردها بعد أستسلام فرنسا — موقف فرانكو :

بعد أن أستسلمت فرنسا لهتلر فى يونيه سنة ١٩٤٠ أصبح هتلر الآمر الناهى فى غرب أوربا ، ووقفت بريطانيا بزعامة تشرشل صامدة بمفردها ولم تؤد الغارات الجوية الألمانية على لندن والمدن البريطانية إلى خضوع بريطانيا بل أنها رفضت بإباء عرضاً لهتلر للصلح قدمه إليها فى ١٩ يوليه ، غير أنه كان هناك خطر ماثل أمام تشرشل بعد أنهيار فرنسا وقد تمثل هذا الخطر عندما وصل الألمان فى أحتلالهم لفرنسا بعد الهدنة إلى الحدود الأسبانية يوم ٢٧ يونية سنة ١٩٤٠ إذ كان من المحتمل أن يسمح لهم فرانكو باختراق الأراضى الأسبانية للوصول إلى جبل طارق نظير أن يسمح الألمان لفرانكو باحتلال المغرب وشمال أفريقيا الفرنسى . عندما وصلت القوات الألمانية إلى الحدود الأسبانية أقترح الألمان على فرانكو إقامة عرض عسكرى مشترك فى سان سيبستيان وفى بلاد أخرى جنوب جبال البرنيز إظهاراً لتحالف البلدين ، وقد تبين بأن بعض فصائل الجنود الألمان قد دخلت فعلا الأراضى الأسبانية ، غير أن فرانكو التزم جانب الحذر أنتظاراً لتطور الأحداث .

كان جبل طارق بالنسبة لبريطانيا فى ذلك الوقت بالغ الأهمية ولذلك فقد أصبح بيد فرانكو مفتاح كافة عمليات بريطانيا فى البحر الأبيض المتوسط ، وكان تشرشل يرى بأن خطر ذلك بالنسبة للاستراتيجية البريطانية

كبيراً إذ أضطرها هذا الخوف إلى أن تحتفظ لمدة تقرب من السنتين بخمسة آلاف جندى وتحت تصرفهم سفنا على أهبة الاستعداد للتحرك رهن الإشارة لاحتلال جزر كانارى الأسبانية فى حالة سقوط قلعة جبل طارق بأيدى الأسبان أو الألمان ، ولاحتلال جزر كانارى بواسطة البريطانيين له أهمية خاصة تمكنها من الحد من نشاط قوارب الطوربيد الألمانية (يوبوتس) وربط خطوط ملاحتها البحرية حول رأس الرجاء الصالح .

أخذ فرانكو من سقوط فرنسا بيد الألمان بهذه السرعة وتوقع أنهيار بريطانيا أو تدميرها فى وقت قريب وأعد نفسه ليتقبل « نظاماً جديداً فى أوربا » والاعتراف بأن الألمان هم سادة الأجناس . أبدى فرانكو أستعداده للانضمام إلى المنتصر كى يقتسم معه أسلاب الحرب وأوضح بأن لأسبانيا مطالب كثيرة ولكن هتلر — فى تلك الفترة من الحرب (يونيه سنة ١٩٤٠) — لم يكن بحاجة إلى حلفاء إذ كان يعتقد — وفرانكو يشاركه الرأى — بأن بريطانيا ستلجأ بعد بضعة أسابيع قليلة إلى طلب شروط صلح ولذلك فلم يهتم هتلر كثيراً بأن يعرض على فرانكو ما يغريه بدخول الحرب إلى جانبه .

بعد شهرين من أستسلام فرنسا تغيرت الصورة أمام العالم ، تبين بأن بريطانيا عازمة على مواصلة الحرب وأنها تستعد لحرب طويلة لا سيما بعد أن رفضت عرض صلح ١٩ يوليه فلم يكن أمام هتلر إلا أن يتجه إلى فرانكو الذى سبق لهتلر أن ساعده على كسب الحرب الأهلية فى أسبانيا لا سيما وقد أبدى فرانكو أستعداده لأن ينضم إليه ، ولكن فرانكو الآن له وجهة نظر مختلفة بعد تطور صورة الموقف .

فى ٨ أغسطس سنة ١٩٤٠ أبرق السفير الألمانى فى مدريد إلى هتلر يقول له بأن الكاوديللو (فرانكو) لا يزال عند موقفه الأول ولكن له بعض المطالب ، وهذه المطالب هى :

١ — ضمان إعطاء أسبانيا جبل طارق والمغرب الفرنسى وجزءاً من الجزائر يشمل أوران .

٢ — بعض التوسعات الإقليمية حول مستعمرات أسبانيا فى أفريقيا .

٣ — إعطاء أسبانيا مساعدات عسكرية وأقتصادية كافية لأن أسبانيا لا تملك من الحبوب إلا ما يكفيها لثمانية أشهر فقط .

٤ — أن لا تدخل أسبانيا الحرب إلا بعد نزول القوات الألمانية إلى الجزر البريطانية وذلك لتفادى دخول أسبانيا الحرب قبل أنتهائها بوقت طويل الأمر الذى لا تتمكن من أحتماله لما فى ذلك من خطر على نظام فرانكو نفسه .

كتب فرانكو — فى الوقت نفسه — إلى موسولينى يلخص له مطالب أسبانيا ويطلب إليه مساعدته فى تحقيقها فرد عليه موسولينى فى ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٠ طالباً إليه أن لا يبعد نفسه عن تاريخ أوربا » .

دهش هتلر لضخامة مطالب فرانكو لأن بعضها سيورطه من جديد مع حكومة الماريشال بيتان فى فيشى لا سيما وأن أستيلاء فرانكو على أوران سيؤدى إلى إقامة حكومة فرنسية معادية لألمانيا فى شمال أفريقيا .

فى شهر سبتمبر من نفس العام أخذت الصورة أوضاعا أكثر وضوحاً فقد تبين للعالم بأن بريطانيا رغماً من موقفها العسكرى الدقيق ورغماً من الغارات الألمانية العنيفة على لندن والمدن البريطانية مصممة على الصمود وأن الولايات المتحدة الأمريكية التى نقلت إلى بريطانيا خمسين مدمرة أمريكية لم تترك شكا لدى أوربا بأن الولايات المتحدة الأمريكية فى طريقها إلى دخول الحرب بجانب بريطانيا لذلك قرر فرانكو أن يحدد مطالبه وأن الاتفاق على إجابتها يجب أن يتم مقدماً ، كما أن المعونات العسكرية يجب أن تحصل عليها مقدماً ، وكان فرانكو يطالب بأسلحة حديثة وبمواد غذائية وبترول .

جاء بمذكرات الكونت تشانو وزير خارجية إيطاليا وزوج أبنة موسولينى ، وهى المذكرات التى تمكنت زوجته من تهريبها إلى خارج إيطاليا قبل إعدام زوجها ، بأن الهر فون ريبنتروب وزير خارجية هتلر قدم إلى روما يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٠ ليتحدث إلى موسولينى ، قال

ريبنتروب بأن بريطانيا مدفوعة فى عنادها بروح اليأس وفشل زعمائها فى فهم الحقائق وأنهم لا يزالون يأملون فى دخول روسيا والولايات المتحدة الأمريكية الحرب . أجابه موسولينى بأن الواقع هو أن الولايات المتحدة الأمريكية تقف بجانب بريطانيا وأن نقل الخمسين مدمرة إلى بريطانيا يؤكد ذلك وأقترح عقد معاهدة تحالف مع اليابان لشل حركة الولايات المتحدة الأمريكية . كان موسولينى يرى بأنه يجب تصفية اليونان حتى إذا ما أحتلت القوات الإيطالية مصر لا يتمكن الأسطول البريطانى من الاختباء فى موانى اليونان . كان موسولينى يرى ضرورة دخول أسبانيا الحرب وقد أمن ريبنتروب على أن أعلان أسبانيا الحرب ثم عقد معاعدة تحالف مع اليابان سوف يكون ضربة هائلة لبريطانيا .

وبينما كان حماس فرانكو لدخول الحرب يضعف كان يغالى فى مطالبه وكانت رغبة هتلر تزداد فى الحصول على مساعدته ، وفى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٠ وقع هتلر فى برلين مع كل من إيطاليا واليابان الحلف الثلاثى فتغيرت الصورة مرة أخرى أمام فرانكو .

فى ٤ أكتوبر قابل هتلر موسولينى عند ممر « برنر » فى جبال الألب على الحدود بين إيطاليا والنمسا وأبلغ موسولينى — طبقاً لمذكرات تشانو — بأنه إن أجاب فرانكو إلى مطالبه فستكون لذلك نتيجتان مباشرتان وهما ، سيحتل البريطانيون القواعد الحربية الأسبانية فى جزر كانارى وتنضم الامبراطورية الفرنسية فى شمال أفريقيا إلى حركة دى جول وسيؤدى ذلك إلى تحمل قوات المحور لأعباء جديدة أخرى كثيرة . من ناحية أخرى أبدى هتلر أمله فى أن يتمكن من ضم القوات الفرنسية المسلحة إلى جانبه فى معركته ضد بريطانيا . فى هذا الاجتماع أسهب موسولينى فى الحديث عن خططه لفتح مصر وقد عرض عليه هتلر أن يمده ببعض الوحدات الألمانية على سبيل مساعدته فى غزو مصر ولكن موسولينى لم يبد ميلا لقبول هذا العرض قبل المرحلة الأخيرة للغزو . فى تلك المقابلة قال هتلر لموسولينى « أنه من الضرورى أن تعلم بأن عدم ثقتى فى ستالين يقابلها عدم ثقته بى » . أختتم هتلر الاجتماع

بأن قال بأن مولوتوف وزير خارجية روسيا — سيحضر قريباً إلى برلين وإن هتلر سيركز أهتمامه على أقناعه بأن توجه روسيا أنظارها ونشاطها نحو الهند .

فى ٢٣ أكتوبر أنتقل هتلر فى قطار مصفح إلى « هندايه » على الحدود الفرنسية الأسبانية لمقابلة فرانكو ، وبدلا من أن يقدر فرانكو تنازل هتلر بالحضور إليه فقد تقدم إلى هتلر — طبقاً لما أبلغه هتلر إلى موسولينى بعد ذلك ودونه الكونت تشانو فى مذكراته — بطلبات لا تتفق مع حجم أسبانيا ولا مع قدراتها فقد طالب فرانكو بما يلى :

١ — تعديل حدود أسبانيا مع فرنسا وفصل كاتالونيا الفرنسية وضمها إلى أسبانيا .

٢ — الحصول على جزء من أراضى الجزائر يمتد من أوران حتى كيب بلانكو .

٣ — الاستيلاء على المغرب بأكمله .

علق هتلر على المقابلة لموسولينى بقوله « أننى أفضل أن أخلع ثلاثة أو أربعة من أسنانى على العودة إلى بحث تلك المطالب » .

قابل هتلر فى طريق عودته الماريشال بيتان يوم ٢٤ أكتوبر وكان هتلر يأمل — بمساعدة لافال وزير خارجية حكومة الماريشال بيتان فى ذلك الوقت — أن يضم فرنسا إلى جانب المانيا فى حربها ضد بريطانيا . يقول الكونت تشانو بأن الماريشال بيتان ومستشاروه صدموا لطلب هتلر وعندما سئل لافال عما إذا كان هتلر هو صاحب الفكرة أو أن الاقتراح قد قدم إليه أجاب « ماذا تظنونه ، هل تعتقدون بأن هتلر فى حاجة إلى ممرضة ، أن له أفكاره » . ولما كان الماريشال لا يريد أن يغضب هتلر فقد أعطى لهتلر شعوراً بأن فرنسا لن تمانع فى أن « تتعاون » ، وفى موافقته على مبدأ التعاون أجاب على هتلر بأنه لا يتمكن من تحديد حدود هذا التعاون .

ثبت من الوثائق الألمانية التى وقعت بيد الحلفاء بعد الحرب بأن الماريشال بيتان قد صرح بعد عودته إلى فيشى من تلك المقابلة « سنحتاج إلى ستة أشهر لمناقشة هذا البرنامج ثم إلى ستة أشهر أخرى لكى ننساه » ، ومنذ ذلك الحين

والماريشال بيتان شديد الحذر من تصرفات لافال وزير خارجيته التى تهدف إلى دخول فرنسا الحرب ضد بريطانيا .

فى شهر نوفبر سنة ١٩٤٠ وكانت معركة بريطانيا الجوية قد باءت بفشل هجوم هتلر أستدعى هتلر وزير خارجية أسبانيا الجديد « سيرانو سونر » وأبدى له أستياءه من تأخر أسبانيا فى دخول الحرب لا سيما وأن إيطاليا منغمسة فى حربها مع اليونان وعلى الجبهة المصرية فأجابة الوزير بشرح ظروف أسبانيا الاقتصادية ولكن هتلر بعث إلى فرانكو برئيس المخابرات الألمانية (ادميرال كاناريس) لكى يبحث معه تفاصيل دخول أسبانيا الحرب وأقترح على فرانكو أن تعبر القوات الألمانية الحدود الأسبانية يوم ١٠ يناير سنة ١٩٤١ لكى تتمكن من الاستعداد للهجوم على قلعة جبل طارق يوم ٣٠ منه ولشدة دهشة أدميرال كاناريس عندما أبلغه فرانكو بأن أسبانيا لا يمكنها أن تدخل الحرب فى هذا التاريخ لأن أسبانيا ينقصها الغذاء وتنقصها القدرة على تحمل حرب طويلة الأمد . ولما كان قد بدا لفرانكو بأن الغزو الألمانى للجزر البريطانية قد تأجل إلى أجل غير مسمى فقد وضع فرانكو شرطاً جديداً وهو عدم دخوله الحرب حتى تصبح قناة السويس بيد قوات المحور ولكى يتأكد من عدم أستمرار أسبانيا فى الحرب طويلا .

عاد هتلر فوجه إلى فرانكو خطاباً فى ٦ فبراير سنة ١٩٤١ يناشده فيه بعبارات قوية أن يكون أكثر حزماً وأن يتخذ قراراً بدون إبطاء فرد عليه فرانكو معربا عن ولائه ومعبراً عن أمله فى أن تستمر الاستعدادات للهجوم على جبل طارق بكل قوة وأن يتولى عملية الهجوم قوات أسبانية فقط بأسلحة ومعدات ألمانية ، وأضاف بأنه حتى لو أمكن تدبير كل ذلك فإن أسبانيا لا تزال فى موقف أقتصادى سىء لا يسمح لها بدخول الحرب . أنتهى ريبنتروب وزير خارجية هتلر إلى أبلاغ هتلر برأيه وهو أن فرانكو لن يدخل الحرب ، ولما كان هتلر يخطط فى تلك الآونة لغزو روسيا فقد فضل أن يوجه نظره الآن إلى الشرق ، ولم يفت فرانكو أن يجمع قواته على الحدود مع فرنسا خشية أن يفاجئه هتلر بالهجوم عليه ، كما بادر تشرشل بالاتصال بروزفلت يرجوه أن يبدى شيئاً من سياسة المصالحة نحو فرانكو فيعطيه غذاءاً

يكفيه شهراً بشهر حتى لا يتمكن من دخول الحرب لأن أسبانيا أصبحت على حافة الجوع .

تشرشل وأحتلال البريطانيين لسوريا :

فى ٢ مايو سنة ١٩٤١ عندما ساء موقف القوات العراقية التى هاجمت القاعدة الجوية البريطانية فى مطار الحبانية بسبب النزاع الذى نشب بين حكومة رشيد عالى الكيلانى فى بغداد والحكومة البريطانية بشأن مرور القوات البريطانية من ميناء البصرة ، لجأ رشيد عالى الكيلانى إلى طلب العون العسكرى من هتلر . وفى اليوم التالى تلقت السفارة الألمانية فى باريس تعليمات من هتلر للحصول على موافقة حكومة فيشى باستخدام مطارات سوريا لمرور طائرات المانية تحمل العتاد الحربى إلى القوات العراقية . اتفق الادميرال دارلان فى ٥ ، ٦ مايو على أن ينقل ثلاثة أرباع العتاد الحربى الذى جمع فى سوريا تحت رقابة لجنة الهدنة الإيطالية إلى العراق وأن يمنح السلاح الجوى الألمانى تسهيلات للهبوط فى الأراضى السورية ، وتلقى الجنرال « دنتز » المندوب السامى الفرنسى لحكومة فيشى وقائد قواتها فى سوريا تعليمات بهذا الشأن ، وسرعان ما هبطت فى مطارات سوريا فى المدة من ٩ مايو إلى آخر الشهر مائة طائرة المانية وعشرون طائرة إيطالية .

ومع خطورة هذا الموقف بالنسبة لبريطانيا ولا سيما بالنسبة لاستراتيجية تشرشل فى الدفاع عن مصر ، ورغماً عن مطالبة دى جول باتخاذ أجراء سريع تقوم به قوات من فرنسا الحرة إلا أن تشرشل رفض طلب دى جول متخذاً فشل تجربة داكار حجة لذلك . وكان من رأى تشرشل أنه إذا بدأ المندوب السامى الفرنسى فى سوريا بمقاومة الألمان فان بريطانيا تقدم له كل عون عسكرى ممكن . كان الجنرال ويفل — القائد العام للقوات البريطانية فى الشرة الأوسط — متردداً فى تشتيت قواته بين الصحراء الغربيةوالامبراطورية الإيطالية فى شرق أفريقيا وكان بذلك عزوفاً عن أرسال قوات بريطانية إلى سوريا . فى ٢١ مايو سنة ١٩٤١ بعث إليه تشرشل برقية تحتوى على تعليمات بطرد الألمان من سوريا وجاء بنهايتها ما يلى نصه : « نحن نتحمل كافة

المسئولية بالنسبة لهذا القرار فإذا ما وجدت نفسك غير مقتنع بتنفيذه فإن الترتيبات ستتخذ لإجابتك إلى أية رغبة تبديها لأعفائك من قيادتك » .

تراجع الجنرال ويفل مجيباً تشرشل بأن عدم دقة المعلومات التى حصل عليها من مصادر فرنسا الحرة حول الموقف فى سوريا هى التى جعلته لا يميل إلى الارتباط بعمل عسكرى فى الوقت الذى تحتاج فيه كريت والعراق والصحراء الغربية لكافة القوات المتاحة .

اتخذ البريطانيون بعد ذلك الترتيبات لاحتلال سوريا وبدأت القوات البريطانية فى ٨ يونيه سنة ١٩٤١ فى التقدم بالاشتراك مع قوات فرنسا الحرة ، وبعد مقاومة من قوات حكومة فيشى طلبت قوات حكومة فيشى فى ١٢ يوليه عقد هدنة وأكمل البريطانيون أحتلالهم لسوريا . كانت خسائر البريطانيين وقوات فرنسا الحرة باهظة إذ وصلت إلى أكثر من ٤٦٠٠ قتيل وجريح وخسرت قوات فيشى ٦٥٠٠ بين قتيل وجريح ، وكانت المعركة الأولى التى يشترك فيها فرنسيون فى محاربة مواطنيهم . وعلى كل حال فقد كان أحتلال سوريا تحسيناً كبيراً لاستراتيجية الحلفاء فى الشرق الأوسط .

موقف تشرشل من غزو هتلر لروسيا :

هاجم هتلر روسيا فجر يوم ٢١ يونيه سنة ١٩٤١ بمائة وأربع وستين فرقة مدرعة تقدمت فى الأراضى الروسية أكثر من خمسمائة كيلو متر فى الشهر الأول للغزو .

بادر تشرشل فأذاع على الشعب الروسى رسالة فى مساء ٢٢ يونيه وجاء فيها « ليس لنا إلا هدف واحد ، وهدف لا رجعة عنه ، نحن عازمون على تحطيم هتلر وكل أثر للنظام النازى ولن يثنينا أحد عن هذا الهدف . . . لا أحد مطلقاً . نحن عازمون على عدم التحدث مع هتلر أو التفاوض معه أو مع أحد من عصابته . سنحاربه على الأرض وسنحاربه فى البحر وسنحاربه فى الجو إلى أن تخلص الأرض ، بمشيئة الله ، من ظلمه وأن نحرر شعوب الأرض من أستبداده . إن كل رجل وكل دولة تحارب النازية ستتلقى عوناً منا ،

وإن كل رجل وكل دولة تسير مع هتلر ستكون عدوا لنا » ، « سنعطى كل مساعدة لروسيا وللشعب الروسى وسندعو كافة أصدقائنا وحلفائنا فى كافة أنحاء الأرض لكى يتبعوا نفس الطريق الذى سنتبعه باخلاص وثبات حتى النهاية » .

كان ستالين دائم الالحاح على تشرشل بفتح جبهة ثانية على ساحل القارة لتخفيف ضغط جيوش هتلر على الجبهة الروسية حتى أنه أقترح على تشرشل فى أحدى المناسبات أن يبعث بثلاثة أو أربعة جيوش روسية يتولون فتح الجبهة ، وقد علق تشرشل على هذا بأن إجابة ستالين إلى أقتراحه ليست فى قدرته نظراً لعدم توفر سفن نقل القوات وعوامل أخرى وظل تشرشل مصمماً على أن لا يستجيب لهذا النداء المتكرر بفتح الجبهة حتى يتمم أستعداداته .

ويقول تشرشل فى هذا الصدد بأن « الحكومة السوفيتية كان يستولى عليها شعور غريب هو أنهم يسبغون علينا فضلا كبيراً عندما نحاربون فى بلادهم دفاعاً عن أرواحهم ، وكانت كلما أزدادت مقاومتهم للألمان كلما ظنوا بأن دينهم فى عنقنا قد زاد » . والواقع أن دخول روسيا الحرب قد خفف كثيراً من القصف الجوى الألمانى للمدن البريطانية وقلل كثيراً من خطر الغزو الألمانى للجزر البريطانية كما أنه خفف كثيراً من ضغط قوات المحور على البحر الأبيض المتوسط ولكنه فى الوقت نفسه قد فرض تضحيات ضخمة على المجهود الحربى البريطانى فى إنتاج العتاد الحربى حتى بالنسبة لما كانت تتلقاه بريطانيا من الولايات المتحدة الامريكية وكان عليها أن تتنازل عن جزء كبير منه لإرسالة إلى روسيا . والحقيقة الأخرى التى لا شك فيها هى أن مقاومة الجيوش الروسية للغزو الهتلرى قد قصمت ظهر القوات الألمانية وأنزلت خسائر فادحة بجهود الشعب الألمانى ، ومن ناحية أخرى فإنه يمكن القول أيضاً بأن روسيا كانت خلال السنة الأولى من دخولها الحرب عبئاً على مجهود الحلفاء الحربى وليس عاملا مساعداً وكان الحلفاء يعتقدون بإنه حتى لو أضطرت الجيوش الروسية — تحت ضغط الغزو الألمانى — إلى الانسحاب حتى جبال الأورال فستظل روسيا — أن بقيت دولة محاربة — تشكل ضغطاً هائلا له أثره الحاسم على نتيجة الحرب فى النهاية .

موقف تشرشل من كل من الشعبين الإيطالى والألمانى :

يقول تشرشل بأن هتلر « قد أعتبر تسليم إيطاليا إلى الحلفاء خيانة ومنتهى الغدر وهناك أيضاً من يقول بأن الخيانة قد حدثت عندما أقدمت حكومة إيطاليا الفاشستية وعلى رأسها دكتاتور لا مرد لكلمته وهو موسولينى على طعن فرنساوهى تترنح ، وهنا فعلا تكمن أسباب الجريمة التى لا يمكن تركها بدون حساب . أن الشعوب التى تفرط فى حقوقها وحرياتها وتترك الطغاه يسيرون أمورها يجب أن تتحمل عقوبات شديدة . على أننى لا أرى فى أستسلام إيطاليا أمراً غير طبيعى وغير إنسانى ، لقد عانى الشعب الإيطالى كثيراً وفقد الكثير من شبابه فى أفريقيا وروسيا ، لقد ترك الجنود الإيطاليون وشأنهم يلقون حتفهم فى ميادين القتال ، لقد بددت ثروات الشعب الإيطالى وفقد امبراطوريته والآن أصبحت بلاده الجميلة مسرحاً لمعارك أرادها الألمان . أن الشعب الإيطالى يتوقع أن تنهب بلاده وتصب عليه أنواع الذعر من ثورة غضب هتلر ورغبته فى الثأر منه ، ولكن الشعب الإيطالى سينقذ من المهانة والعبودية وسيحصل فى الوقت المناسب على مكانه بين الديموقراطيات الحرة فى العالم الجديد. » يضيف تشرشل

وإذا ما سئلت عما إذا كنت أطبق نفس هذا التصوير على حالة الشعب الألمانى فإننى أجيب بأن الحالة تختلف . لقد حدث مرتين فى حياتنا وثلاث مرات منذ حياة آبائنا أن دفع الألمان هذا العالم إلى حروب توسعية واعتداءات أن الألمان أنفسهم لا يقدرون معنى الحرية وأن تمتع الآخرين بحرياتهم هو منظر كريه بالنسبة إليهم . أن الألمان عندما يشعرون بقوتهم يبحثون عن فريسة لهم ويتبعون فى نظام صارم أى شخص يقودهم إلى تلك الفريسة . أن قلب ألمانيا هو بروسيا ، وبروسيا هى منبع الوباء المتكرر .

أننا لا نحارب من أجل القضاء على هذا الجنس إننا نحارب من أجل القضاء على الطغيان ومن أجل أن نحافظ على أنفسنا من الهلاك . أننى مقتنع بأن شعوب بريطانيا وأمريكا وروسيا التى تحملت تضحيات لا حدود لها كما تحملت المخاطر وسفك الدماء مرتين فى ربع قرن من الزمان من أجل نهم الجنس التيوتونى فى السيطرة ستتخذ فى هذه المرة كافة الاحتياطات لكى

تمنع بروسيا أو ألمانيا من العودة إلى الأخذ بالثأر المتأصل فى نفوسهم . أن الطغيان النازى والعسكرية البروسية هما العنصران الأساسيان فى حياة الشعب الألمانى ويجب القضاء عليهما تماماً كما يجب أقتلاع جذورهما من أوربا وتخليص العالم من نزاع دموى ثالث جديد » .

تشرشل ودى جول ويوم غزو الحلفاء لفرنسا :

كانت العلاقات قائمة بين الحكومة البريطانية والجنرال دى جول وحركة فرنسا الحرة وكانت حكومة الولايات المتحدة الامريكية وخاصة وزارة الخارجية الأمريكية على علاقة وثيقة بحكومة فيشى ، وكان الاميرال « ليهى » سفير الولايات المتحدة الامريكية لدى حكومة فيشى على علاقة وثيقة بالماريشال بيتان .

كان تشرشل قد أعترف بالجنرال دى جول بوصفه رئيساً لفرنسا المحاربة فى خطابين تبودلا بينهما سنة ١٩٤٠ وفى وثائق تالية ولم تخل علاقات دى جول بالحكومة البريطانية من خلاف دائم بسبب رغبة دى جول فى المحافظة على مصالح فرنسا والامبرطورية الفرنسية إذ كان يعتبر نفسه صاحب الحق فى ذلك أمام الحلفاء الغربيين .

لقد سبق عندما تأهبت قوات بريطانيا والولايات المتحدة للنزول فى شمال أفريقيا أن أعتزم تشرشل إبلاغ دى جول بالعملية قبل أبتدائها بوقت قصير ولكن روزفلت أعترض على ذلك ورفض أن يخطر دى جول بأى نبأ عن العملية إلا بعد نجاح الانزال ، كما أن الاميرال ليهى قد أيد الرئيس روزفلت فى هذا الرأى .

لم يكن الأمريكيون يطمأنون إلى الجنرال دى جول ولم يكونوا يريدونه بل كانوا يبحثون عن شخصية فرنسية كبيرة لكى يستندون إليها فى بقائهم فى الجزائر والمغرب فلم يجدوا خيراً من الجنرال جيرو فساندوه على دى جول بل عملوا جهدهم على أبعاد دى جول عن أى مركز فى زعامة الفرنسيين خارج فرنسا أو فى نطاق الامبراطورية الفرنسية نفسها .

عندما تم تأليف اللجنة الفرنسية للتحرير الوطنى وأتخذت مقرا لها شمال أفريقيا بعد نزول قوات بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية إلى المغرب والجزائر فى شهر نوفبر سنة ١٩٤٢ أنتقل دى جول إلى الجزائر ليمارس مهامة كأحد رئيسى تلك اللجنة .

وعندما أقترب موعد غزو الحلفاء لشاطئ فرنسا الشمالى دعا تشرشل الجنرال دى جول إلى الحضور إلى لندن وعرضت هذه الدعوة على اللجنة الفرنسية للتحرير الوطنى وتردد دى جول فى قبولها ، ورأت غالبية أعضاء اللجنة ضرورة قبولها بل ذهب البعض منهم إلى التهديد بالاستقالة من عضوية اللجنة أن لم يستجب الجنرال دى جول إلى الدعوة . وصل الجنرال دى جول إلى لندن من الجزائر قبل اليوم المحدد للغزو بيوم واحد وكان من المقرر أن يقابل الجنرال آيزنهاور لمدة نصف ساعة لكى يشرح له الموقف من ناحيته العسكرية فقط . كان الرئيس روزفلت قد وجه رسالة ودية إلى الجنرال دى جول لكى يتوجه إلى الولايات المتحدة الامريكية لمقابلته .

قال تشرشل لدى جول بأنه قد دعاه لكى يخطره بعملية الغزو إذ لم يتمكن من أبلاغه برقياً وأن تحرير فرنسا لا يمكن أن يتم بدون علم الفرنسيين وأنه كان يعتزم أخطاره قبل ذلك ، وأن سوء الأحوال الجوية قد أجبرت القيادة على تأجيل الغزو لمدة أربع وعشرين ساعة ومن المحتمل أن يتأجل أكثر من ذلك . قال له تشرشل بأن ٣٥ فرقة وأربعة آلاف سفينة قد تجمعت فى الموانى وأن ١٥٠ ألف جندى قد أستقلوا السفن وهم يمثلون الفوج الأول للهجوم ، وأن أحد عشر ألف طائرة تقف على أستعداد منها ثمانية آلاف ستشترك فى القتال أن سمحت الأحوال الجوية . أعرب تشرشل لدى جول عن أسفه لضرب السكك الحديدية الفرنسية وفقدان أرواح فرنسية إذ كان هذا القصف هو الوسيلة الوحيدة لمنع الألمان من جلب أمدادات من المشاه لتعزيز الجبهة . طلب دى جول من تشرشل السماح له بالاتصال بالجزائر بالشفرة الخاصة به لأنه من غير الممكن أن يحرم رئيس معترف به لامبراطورية كبيرة من حق الاتصال : طلب تشرشل من

دى جول أن يؤكد له بأنه لن يعطى أية معلومات عن عملية الغزو لكائن من كان من زملائه وأطلعه على الخطة . بعد أن شكر دى جول تشرشل طلب تشرشل إليه أن يبعث برسالة إلى الشعب الفرنسى بمجرد أن تبحر سفن العملية أسوة بما سيفعله الملك هاكون ملك النرويج والملكة وهلمينا ملكة هولندا وغيرهما إلى شعوبهم فوافق دى جول على توجيه الرسالة . أبلغ تشرشل دى جول بأن الرئيس روزفلت كان قد وجه إليه دعوة لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية ولكنه الآن ليس متحمساً لأتمامها وربما كان ذلك بسبب الطريقة التى عومل بها الجنرال جيرو ، وكان روزفلت قد أتفق مع الجنرال جيرو على تسليح القوات الفرنسية فى شمال أفريقيا ولكن جيرو الآن قد أبعد . أجاب الجنرال دى جول على كل ذلك بقوله أنه يفضل أن يبقى الآن فى لندن على أن يكون فى واشنجتون . حذره تشرشل من أن أراضى فرنسا المحررة ستكون لبعض الوقت مكونة من قليل من الناس تحت النيران . أعرب دى جول عن قلقه بشأن من سيتولى إدارة أراضى فرنسا المحررة وهنا أجابه تشرشل بجفاء « أن بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الامريكية يخاطران بحياة الآلاف من أبنائهما لتحرير فرنسا فإن توجه دى جول إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو بقى فى لندن فهذا من شأنه ولكن ليكن مفهوماً بأنه إن حدث خلاف بين اللجنة الفرنسية للتحرير الوطنى والولايات المتحدة الأمريكية فإن بريطانيا ستأخذ جانب الولايات المتحدة الأمريكية بدون أدنى شك ، أما عن إدارة الأراضى الفرنسية المحررة فإن أراد دى جول منا أن نوجه هذا السؤال إلى الرئيس روزفلت لكى يعطيه حجج ملكية تلك الأراضى فإن الجواب سيكون بلا ، وإن طلب إلينا أن نسأل الرئيس لكى يوافق على أن تكون اللجنة هى الجهاز الرئيسى الذى يجب عليه أن يتعامل معه فى فرنسا فإن الجواب سيكون بنعم . أجاب الجنرال دى جول بأنه قد فهم جيداً بأنه أن أختلفت فرنسا مع الولايات المتحدة الأمريكية فإن بريطانيا ستأخذ جانب الولايات المتحدة الأمريكية . أنتهت المقابلة بهذه الملاحظة القوية من دى جول ،

ستالين يشرب نخب تشرشل :

خلال اجتماعات مؤتمر يالتا بين روزفلت وستالين وتشرشل (يالتا من ٣ — ١٠ فبراير سنة ١٩٤٥ (وكان نصر الحلفاء على هتلر قد أصبح مضموناً وقف ستالين يوم ٨ فبراير بعد حفل عشاء رسمى ليشرب نخب تشرشل ويقول ما نصه : « أقترح شرب نخب زعيم الامبراطورية البريطانية أشجع رئيس وزراء فى هذا العالم ، الرجل الذى يجمع بين الخبرة السياسية والزعامة العسكرية ، الرجل الذى قال — عندما كانت أوربا بأكملها تستعد لتركع فى خضوع أمام هتلر — بأن بريطانيا ستقف وستحارب المانيا بمفردها حتى بدون حلفاء . لقد قال بأن بريطانيا ستستمر فى محاربة هتلر حتى لو تخلى عنها حلفاؤها الحاليون ومن سيتحالف معها فى المستقبل . إننى أشرب نخب صحة الرجل الذى يولد مرة واحدة كل مائة عام والذى حمل بشجاعة علم بريطانيا العظمى ، لقد قلت ما أشعر به وأفصحت عما يملأ قلبى واقتنعت به » .

مقابلة تشرشل للملك ابن سعود :

كان الملك ابن سعود قد استقل مدمرة أمريكية لتقله هو وحاشيته حيث تقف البارجة الأمريكية « كوينسى » فى البحيرات المرة ، والتى على ظهرها قابل روزفلت الملك فاروق والإمبراطور هايلا سيلاسى والملك ابن سعود . يقول تشرشل بأنه أراد أن يقابل الملك ابن سعود بعد مقابلة الملك للرئيس روزفلت مباشرة ، وقد تمت المقابلة يوم ١٧ فبراير سنة ١٩٤٥ بفندق البحيرة بالفيوم ، وفى رواية تشرشل لظروف المقابلة قال بأنه قد طلب منه أن لا يدخن ولا يشرب خموراً فى حضرة الملك فلما دعاه تشرشل إلى حفل غذاء تكريماً له سارع تشرشل فأثار هذا الموضوع فوراً . طلب تشرشل من المترجم أن ينقل إلى الملك بأنه إذا كان دين جلالته يحرم عليه التدخين وتناول المشروبات الكحولية فإنه يقول له بأن أسلوب حياته الذى لا يحيد عنه وهو بالنسبة إليه أسلوب مقدس هو أن يدخن السيجار ويتناول المشروبات الكحولية قبل تناول

جميع وجبات الطعام وبعدها وخلال تناولها أيضاً ، وكذلك ما بين الوجبات ، فقبل الملك طلب تشرشل وسمح له بالتدخين وبتناول ما يشاء من المشروبات الكحولية فى حضرته . تقدم ساقى الملك وقدم إلى تشرشل كوباً من ماء بئر زمزم ، وهنا يقول تشرشل بأنه كان من أحلى ما تذوقه .

كان ضمن برنامج المقابلة تبادل الهدايا فأحضروا لتشرشل من القاهرة حقيبة صغيرة تحتوى على عطور مختارة دفعت فيها الحكومة البريطانية مائة جنيه قدمها تشرشل إلى الملك . قام الملك سعود فأهدى تشرشل وكافة الذين كانوا يصحبونه سيوفاً مطعمة بالأحجار الكريمة وسيوفاً مطعمة مقابضهابفصوص من الماس وهدايا أخرى ثمينة . من ضمن تلك الهدايا حقيبة ضخمة مغلقة قدمت إلى السيدة سارة تشرشل ابنة تشرشل التى كانت تصحبه لتوزع ما بها على السيدات ضمن الوفد . قال تشرشل للملك بأنه لما كان يشعر بأن الوفد البريطانى قد أغرق بالهدايا بالنسبة لما أحضره الوفد لجلالته من هدية رمزية فإن الحكومة البريطانية قررت أن تقدم له أجمل سيارة فى العالم بها كل وسائل الراحة ومزودة بكل وسائل الأمن ضد أى عمل عدائى .

يقول تشرشل بأن ابن سعود قد ترك فى نفسه أثراً عميقاً بسبب إخلاصه العميق لبريطانيا . لم يفت تشرشل فى وصفه للمقابلة أن يقول ما نصه : « كان الملك قد جاوز السبعين من عمره ولكنه كان لا يزال محتفظاً بنشاطه كمحارب ، كان لا يزال يعيش عيشة زعماء القبائل فى صحراء العرب بين أبنائه الأحياء الأربعين ونسائه فى الحريم اللائى يبلغ عددهن السبعين ، ولكن كان يصحبه ثلاث زوجات رسميات فقط من بين الأربعة اللائى يرخص بهن النبى ... ولذلك فقد كان يحتفظ بوظيفة خالية ... » .

أما عن الهدايا التى قدمها إليه الملك فيقول تشرشل بأن ابنته ساره قد فتحت الحقيبة فوجدت بها ملابس وعطور فاخرة وست علب من مختلف الأحجام : إحدى تلك العلب كانت تحتوى على ماسة وبجوارها كتب عليها ١٢٠٠ جنيه ، كما وجدت عدة فصوص مجوهرات أخرى

وعدة عقود من اللؤلؤ . بادر تشرشل بابلاغ الوزارة البريطانية بتلك الهدايا وبأنه قد سلمها جميعها إلى وزارة الخزانة البريطانية التى دفعت ثمن السيارة التى وعد تشرشل بتقديمها إلى الملك ابن سعود من أثمان بيع تلك الهدايا .

أنتصار الحلفاء على هتلر وأنتهاء الحرب فى أوربا :

منذ مطلع شهر أبريل سنة ١٩٤٥ والقوات الألمانية تتراجع عن مواقعها وتستسلم الواحدة بعد الأخرى ، وبعد أن انتحر هتلر فى ٣٠ أبريل وفشل هملر فى الحصول على اتفاق مع الحلفاء الغربيين يتيح له الاستمرار فى الحرب ضد الروس ، استسلم الأميرال « فريد بورج » فى ٤ مايو إلى الجنرال مونتجومرى ، القائد البريطانى ، ومعه الجيوش الألمانية فى الشمال الغربى لألمانيا وفى الدانمارك وهولندا ، ولكن هذا التسليم لم يكن سوى اتفاق تسليم بين قواد عسكريين محليين لا يلزم حكومة الرايخ الألمانى بشئ .

وفى النهاية وبعد محاولات يائسة من الأميرال « دونتز » ، خليفة هتلر ، لتخفيف شروط التسليم ، أرسل الجنرال « يودل » إلى مدينة ريمس ، حيث مقر قيادة الجنرال آيزنهاور ، القائد العام لقوات الحلفاء ، يحمل إليه التسليم التام لكافة القوات الألمانية ، وتمت مراسم هذا التسليم فى الساعة الثانية بعد منتصف ليل ٦/٧ مايو على أن يتوقف إطلاق النار عند منتصف ليل ٧/٨ مايو سنة ١٩٤٥ .

كما تمت مراسم تسليم أخرى يوم ٩ مايو بمقر قيادة القوات السوفيتية فى برلين . فى مراسم هذا التسليم صمم الفرنسيون على الاشتراك مع ممثلى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتى فى تلقى تسليم المانيا النازية ، وتولى الجنرال الفرنسى « ى لاتردى تاسينى » التوقيع على وثيقة التسليم نيابة عن فرنسا . حدث عندما طلب إلى الفيلد مارشال « كايتل » قائد عام القوات الألمانية التوقيع بالتسليم أيضاً إلى الجنرال الفرنسى أن صاح منفعلا قائلا « ما هذا ... الفرنسيون أيضاً ... » ولكنه وقع مستسلماً .

بعد ظهر يوم ٨ مايو سنة ١٩٤٥ أعلن تشرشل فى خطاب له بالراديو على الشعب البريطانى وعلى العالم أجمع انتصار بريطانيا على مسمع من جماهير الشعب البريطانى المتجمع فى كل مكان وسط حماس منقطع النظير (كان كاتب هذه السطور من بين جماهير سكان لندن الذين تجمعوا لسماع الخطاب فى ميدان بيكاديللى) . لم يتمالك تشرشل حماسة فختم خطابه بكلمتين Rule, Britannia (فلتسد بريطانيا) . ولا شك بأن تشرشل كان وهو يلقى هذا الخطاب فى أوج عظمته .

استعمل تشرشل لأول مرة تعبير « الستار الحديدى » فى برقية له بتاريخ ١٢ مايو سنة ١٩٤٥ إلى الرئيس ترومان يقول له فيها بأن ستاراً حديدياً قد ضربه الروس على ما وضعوا أيديهم عليه بعد انهيار ألمانيا وهو خط يمتد من مدينة لوبيك حتى تريستا ومنها إلى كورفو ويدعوه إلى الموافقة على عقد اجتماع ثلاثى لبحث الموقف الناشئ عن تقدم الجيوش الروسية إلى أواسط أوربا والخوف من سيطرتهم فى المستقبل على الأراضى التى سينسحب منها الحلفاء الغربيون . وافق الرئيس ترومان على عقد الاجتماع واتفق على أن يتم فى بوتسدام فى المدة من ١٦ إلى ٢٥ يوليه سنة ١٩٤٥ كما سيجئ ذكره فيما بعد .

نهاية الوزارة الائتلافية فى بريطانيا وإجراء أنتخابات عامة :

كان أعضاء حزب المحافظين يعلمون رغبة تشرشل فى الاخلاد إلى الراحة عندما تنتهى الحرب لذلك اقترحوا عليه أن يجرى انتخابات عامة فى بريطانيا قبل أن تنتهى الحرب مع اليابان اعتقاداً منهم بأن سحر تشرشل سيؤدى بالشعب البريطانى إلى انجاح الحزب ، وأن الشعب لن يقبل بأن يتخلى تشرشل عن المسئولية فى تلك الفترة ، ولكن تشرشل كان يرى بأنه يجب مواجهة الخطر الروسى الذى كان يتزايد فى أوربا بوزارة بريطانية متحدة ولذلك اقترح على حزب العمال المشترك معه فى الحكم تأجيل الانتخابات العامة حتى شهر أكتوبر من نفس العام ، ولما ووجه تشرشل بخلاف حاد داخل وزارته يوم ٢٣ مايو سارع بتقديم استقالته

إلى الملك الذى قبلها وكلفه بتأليف وزارة أخرى تتولى إجراء الانتخابات العامة إذ كانت له أغلبية فى مجلس العموم تبلغ مائة مقعد ، فقام بتأليف وزارة جديدة فى بحر ثمان وأربعين ساعة من المحافظين والأحرار والمستقلين . وفى يونيه قرر حل مجلس العموم وحدد ٥ يوليه لإجراء انتخابات عامة جديدة ، كما حدم يوم ٢٦ يوليه لإعلان النتائج النهائية بعد وصول كافة أصوات القوات المسلحة فى الخارج .

أجتماع بوتسدام ووصول أنباء نجاح تجربة تفجير القنبلة الذرية (١٦ — ٢٥ يوليه سنة ١٩٤٥)

وصل تشرشل إلى بوتسدام يوم ١٥ يوليه وفى اليوم التالى زار مخبأ هتلر فى برلين كما زار الغرفة التى انتحر فيها هو وزوجته إيفا براون والمكان الذى احرقت فيه جثتاهما . يقول تشرشل بأن انتحار هتلر قد أنقذه من ورطة كان يفكر فيها ويخشاها إذ كان يفكر فيما عساه أن يفعله لو أن هتلر طار إلى لندن وسلم نفسه إلى البريطانيين وقال لهم افعلوا بى ما تشاؤون ولكن لا تعاقبوا الشعب الألمانى ، يجيب تشرشل على نفسه فيقول بأنه فى هذه الحالة كان لابد من إحالته مع مجرمى الحرب إلى محكمة نورمبرج .

فى ١٧ يوليه وصلت أنباء إلى تشرشل خلال فترة الاجتماع بأن تجربة تفجير القنبلة الذرية الأمريكية فى صحراء المكسيك قد نجحت . كانت بريطانيا قد أعطت موافقتها منذ ٤ يوليه على استعمال القنبلة الذرية لإنهاء الحرب مع اليابان ولذلك فان القرار أصبح بيد الرئيس ترومان الآن . بقى موضوع إبلاغ ستالين وكيفية إبلاغه ، وكان ذلك موضع تبادل الرأى بين تشرشل وترومان ، وقد استقر رأى ترومان على أن يقوم هو بإبلاغه بعد أحد الاجتماعات وأن يكون الإبلاغ قاصراً على أن أمريكا قد توصلت إلى إنتاج قنبلة من نوع جديد تماماً ، قنبلة ليست كباقى القنابل العادية وسيكون لها تأثير حاسم على عزم اليابانيين الاستمرار فى الحرب .

فى ٢٤ يوليه ، وقبل انتهاء جلسات المؤتمر بيوم ، وبعد الاجتماع

الشامل للوفود بكامل هيئتها توجه الرئيس ترومان نحو ستالين ليحدثه على انفراد مع المترجم وأخطره بما تم الاتفاق عليه ، بدا السرور واضحاً على وجه ستالين وشكر ترومان على هذا الإبلاغ ولكنه أبدى عدم تفهمه فنياً لتركيب هذه القنبلة الجديدة التى كلفت الولايات المتحدة الأمريكية أربعمائة مليون استرلينى وطلب إلى ترومان أن يبعث بالاخصائيين الروس فى اليوم التالى لمزيد من المعلومات ، واكتفى ترومان بما أبلغه به .

ويقول تشرشل بأنه من الخطأ أن يظن بأن إلقاء القنبلة الذرية على مدينة هيروشيما فى ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ ثم على ناجازاكى فى ٩ منه هو الذى دفع باليابانيين إلى التسليم لأن هزيمة اليابان كانت مؤكدة قبل إلقاء تلك القنبلة على المدينتين .

إعلان نتيجة الانتخابات العامة البريطانية :

عاد تشرشل إلى لندن يوم ٢٥ يوليه ليقف على نتائج الانتخابات العامة التى كان الجميع يتوقعون بأن يفوز فيها المحافظون بأغلبية واضحة . ما جاء ظهر يوم ٢٦ يوليه حتى تبين بأن حزب العمال قد حصل على أغلبية كافية لكى يحكم بريطانيا . لم ينتظر تشرشل بضعة أيام حتى ينعقد مجلس العموم الجديد ولم يقبل أن ينتظر ولو ساعة واحدة لكى يصرف شئون الدولة « للشعب الذى لا يريده » على حد تعبيره — فتوجه فى الساعة السابعة من مساء نفس اليوم إلى قصر الملك على موعد حدد له بناء على طلبه وقدم إلى الملك استقالته وأشار عليه باستدعاء مستر كليمنت أتلى زعيم حزب العمال ليؤلف وزارة جديدة .

اقترح الملك جورج السادس على تشرشل — اعترافاً بخدماته الجليلة العظمى للامبراطورية — أن يقبل الإنعام عليه برتبة شرف ولكن تشرشل اعتذر عن قبولها إذ ربما يفسر هذا الانعام بأنه علامة على نهاية كفاحه السياسى .

ظل تشرشل لأكثر من ست سنوات يتزعم المعارضة لحكومتين من

حزب العمال فى مجلس العموم إلى أن فاز حزب المحافظين فى الانتخابات العامة سنة ١٩٥١ فعاد تشرشل إلى رئاسة الوزارة البريطانية .

فى سنة ١٩٥٣ وكان تشرشل لا يزال رئيساً للوزارة قبل أن يتسلم من يد الملكة اليزابيث الثانية ما سبق له أن اعتذر عن قبوله من والدها الملك جورج السادس وأصبح Knight Of Fhe Garter (فارس وسام ربطة الساق) إلى أن استقال من منصبه فى سنة ١٩٥٥ لكى يخلد إلى الراحة بالغاً من العمر ثمانين عاماً .

فى مطلع عام ١٩٦٥ أصيب تشرشل بجلطة فى المخ وتوفى يوم ٢٤ يناير بالغاً من العمر تسعين عاماً .

تشرشل أمام التاريخ :

عاش تشرشل وسط المخاطر منذ صغره ، كان محباً للحياة ومحباً للتجربة ، كان يحب أن يمارس كل شئ ، كان مراسلا حربياً ، جندياً ، مؤرخاً ، رياضياً ، رساماً بالألوان المائية ، سياسياً ، محاضراً ، مديراً ، صحافياً ، بناءاً .

لم يركن إلى الأنزواء يوماً فى حياته ، كان دائم الحركة والنشاط ، كان ذكاؤه صافياً ، كان فناناً ورجل عمل وتنفيذ ، أما بلاغته الخطابية فقد حركت مئات الألوف وشجعت الملايين على السير وراءه وهو بلا شك أحد السياسيين البريطانيين القلائل الذين كتبوا نثراً جميلا .

كان تشرشل عندما يتحدث يتأنق فى اختيار الألفاظ وفى تركيب الجمل ، كان قادراً على الإنصات ولكنه كان يوجه أسئلة إلى محدثه أكثر مما كان يجيب على الأسئلة .

ووالدة تشرشل — كما سبق القول — أمريكية ، فهو نصف أمريكى بالولادة .

كتب تشرشل عن لينين قبل الحرب بسنوات يقول : « كان لينين الناكر الأكبر ، أنكر كل شئ ، أنكر الإله ، أنكر الملك ، أنكر الوطن ،

أنكر الأخلاق ، أنكر المعاهدات والديون ، أنكر القوانين والعقود ، أنكر بنيان المجتمع البشرى بأكمله ، وفى النهاية أنكر نفسه . كان لينين وحده الذى كان بإمكانه أن يجعل من روسيا أرض الرخاء ، وكان الوحيد الذى كان بإمكانه أن يعود بها إلى الطريق السوى ولكنه انقلب فهلك ، قطع الضوء الذى كان ينير له الطريق فى اللحظة التى عاد فيها إلى وطنه وترك الشعب الروسى يتعثر فى مستنقع . كان من سوء حظ الشعب الروسى أن يولد لينين ومن أسوأ حظه أن يموت » .

كان تشرشل عدوا لدوداً للشيوعية ولكن عندما هاجم هتلر روسيا فى يونيه سنة ١٩٤١ نحا تشرشل كراهيته للشيوعية جانباً وتحالف مع روسيا للخلاص من هتلر ، وما أن تم تحطيم قوة المانيا العسكرية حتى حدث تحول أساسى فى علاقات روسيا الشيوعية بالديموقراطيات الغربية . لقد أختفى العدو المشترك الذى كان العامل الوحيد فى تآلفهم والرباط الوحيد الذى يجمع بينهم . منذ أن تم القضاء على هتلر لم تعرف أطماع روسيا الشيوعية لنفسها حدوداً ،وما أن أنتهت الحرب واستسلمت ألمانيا ومن بعدها اليابان حتى رأى تشرشل بأن روسيا أصبحت خطراً يهدد العالم الحر وأنه يجب على هذا العالم الحر أن يواجهها لإيقاف زحف تسلطها على أوربا .

لقد قيل بأن السياسة التى أشترك تشرشل فى وضعها للحلفاء خلال الحرب نحو ألمانيا وهى سياسة « التسليم بدون قيد أو شرط » كانت سياسة خاطئة لأنها أدت إلى إطالة فترة الحرب وجعلت التخلص من آثار الحرب أمراً صعباً ، ويرد تشرشل على ذلك فى خطاب له بمجلس العموم البريطانى يوم ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٣ فيقول « أن الأمم المتحدة تطلب من طغاة النازية والفاشية ومن اليابانيين التسليم بدون قيد أو شرط ، أننا نعنى بهذا أن رغبتهم فى المقاومة يجب أن تتحطم وأنهم يجب أن يسلموا أنفسهم لعدالتنا ورحمتنا ، ونعنى أيضاً بأنه يجب علينا أن نتخذ كافة الضمانات الضرورية فى المستقبل لكى نجنب العالم عودتهم إلى الاعتداء من جديد . أن التسليم بدون قيد أو شرط لا يعنى ولا يمكن أن يعنى أننا نعتزم أن نلوث سلاحنا المنتصر بارتكاب أعمالا لا إنسانية أو أن نلجأ إلى شهوة الانتقام » .

ولما قيل — عندما ساء مركز الجيوش الألمانية فى سنة ١٩٤٣ — بأن شرط التسليم بدون قيد أو شرط قد دفع بالألمان إلى التصميم على المقاومة وإطالة أمد الحرب قدم تشرشل إلى الوزارة البريطانية مذكرة جاء بها « أننى أعنى بالتسليم بدون قيد أو شرط بأنه ليس للألمان أى حقوق فى معاملة لها شكل خاص فمثلا لا يمكن تطبيق مبادىء ميثاق الأطلنطى عليهم كحق ، ومن ناحية أخرى فإن للدول المنتصرة أن تراقب بنفسها ما تمليه عليها قواعد الإنسانية والحضارة ، ثم عدد تشرشل ما يراه بشأن معاملة المانيا بعد النصر قال :

أولا : يجب نزع سلاح ألمانيا نزعاً تاما وحرمانها من كل إمكانية لإعادة تسليح نفسها .

ثانياً : يجب منعها من أى أستعمال للطيران ، مدنياً كان أو عسكرياً ، وكذا منعها من ممارسة فن الطيران .

ثالثاً : تسليم أعداد كبيرة من الأشخاص الذين أرتكبوا جرائم تعذيب للمحاكمة فى البلاد التى أرتكبوا فيها جرائمهم البشعة .

لقد قال ستالين فى أجتماعات طهران بأن روسيا ستكون بحاجة إلى أربعة ملايين من الألمان على الأقل لكى يعملون لعدة سنوات فى إعادة بناء ما خربوه فى روسيا .

ونظراً للقسوة الشديدة التى أرتكبها الألمان مع أعداد كبيرة من الفرنسيين والإيطاليين والروس من أسرى الحرب والمعتقلين فإن العقاب فى هذه الحالة لن يكون مخالفاً للعدالة .

رابعاً : أن بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا على أتفاق بأن تقسم المانيا إلى عدة دول منفصلة .

خامساً : يجب تحطيم هيئة أركان حرب الجيش الألمانى ، وقد يطلب الروس إعدام عدد كبير من إعضاء تلك الهيئة أو أعتقالهم لعدة سنوات .

وفى ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٤ عاد تشرشل ليقول « أن التسليم بدون قيد

أو شرط ليس معناه أن الشعب الألمانى سيستعبد أو يحطم ، بل معناه أن الحلفاء ليسوا ملتزمين نحوه عند التسليم بأى واجب » .

وقد جاء هذا التصريح الأخير مشاركة لرأى الرئيس روزفلت عندما صرح بشأن هذا الموضوع يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٤٣ إذ قال « لا تعتزم الأمم المتحدة أستعباد الشعب الألمانى ، إننا نريده أن يحصل على فرصة لكى يتقدم فى سلام كعضو نافع ومحترم فى العائلة الأوربية إننا نؤكد على لفظ محترم لأننا نعتزم تخليصه نهائياً من النازية والعسكرية البروسية ومن الفكرة الخيالية المخربة التى تسيطر عليه بأنه سيد الأجناس » .

لقد قارن تشرشل أنتصار الجيش الثامن بقيادة مونتجومرى على الألمان فى معركة تونس فى شهر مايو سنة ١٩٤٣ بانتصار الروس عليهم فى معركة ستالينجراد فى شهر يناير سنة ١٩٤٣ إذ أخذ القائد الألمانى (فون ارنيم) أسيراً ، وبلغ عدد الأسرى الألمان ربع مليون جندى واستولى الجيش الثامن على عتاد ضخم بلغ الف مدفع و ٢٥٠ دبابة وبضع آلاف من سيارات النقل ، وبعد هذا الانتصار الرائع تلقى تشرشل — وكان فى واشنجتون فى محادثات مع روزفلت — برقية تهنئة من الملك جورج السادس جاء فى نهايتها « أن حملة أفريقيا قد زادت بغير حدود من الدين الذى فى عنق هذا البلد نحوك وبحق ما تدين لك به كافة الأمم المتحدة » .

كانت لتشرشل خاصية يتمتع بها ولا تتهيأ لغيره من الزعماء أو السياسيين فقد كانت له قدرة نادرة بين السياسيين على التحدث إلى البحارة والجنود والطيارين بلغتهم وباللهجة التى ألفوها مما ساعده كثيراً على أختيار أحسن العناصر من بينهم لتولى شئون مجريات الحرب وقد كان بارعاً موفقاً فى أختياره ، وكان محبوباً من كبار القادة العسكريين فى الأسلحة الثلاثة يحترمون رأيه ويعملون به .

لقد نصب تشرشل نفسه مدافعاً عن مبادىء الحرية والعدالة وخاض غمار حرب شرسة لمكافحة التسلط والطغيان ولكنه كان فى الوقت نفسه أستعمارياً يريد الابقاء على أمبراطورية بريطانيا فى كل مكان ولا يريد الاعتراف

بحق لشعب من شعوبها فى الحرية والاستقلام ، لقد قاوم منح الهند الحكم الذاتى لفترة طويلة ولم تحصل الهند على أستقلالها ألا عندما ترك تشرشل الحكم ، وهو أيضاً الذى لم يكن ليسلم بأحقية مصر فى حصولها على حرياتها كاملة . اختاره الشعب البريطانى ليتولى زعامته وقت الحرب وعندما أوصله إلى النصر وبدأ عهد السلام لم يرفيه الشعب البريطانى زعيما للسلام بل خشى أن تقوده نشوة هذا النصر الرائع إلى أن يفقد توازنه ويصبح حاكماً يطالب الناس بعبادته والتسليم له بكل ما يأمر به فيصبح فى زمن السلم دكتاتورا متسلطاً . نحاه الشعب البريطانى جانبا لفترة طويلة أمتدت لأكثر من ست سنوات وكان على أتم الأستعداد لكى يقدم إليه أروع تكريم عملا بمبدأ قد يكون سليما وهو أن زعيم الحرب قلما يصلح لكى يكون زعيما ديموقراطيا ومصلحاً أجتماعياً فى وقت السلم .

ورغما عن تقلبات تشرشل بين الأحزاب البريطانية — كما سبق أن ذكرنا — فإن بريطانيا لم تعرف زعيما وقائدا أعظم من تشرشل فى وقت الحرب ، وسيحتل تشرشل مركزه فى التاريخ كمواطن بريطانى أتصف بالشجاعة فى اتخاذ القرار والبلاغة فى التعبير ، لقد ألهم الشعب البريطانى فى أحلك أيامه وجلب له نصراً عظيما مبيناً .

أمضى تشرشل أربعين عاماً عضواً بمجلس العموم وتوج حياته بتولى رئاسة الوزارة البريطانية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، وفى مدى عضويته بمجلس العموم بدل أنتماءه السياسى الحزبى مرتين بانضمامه إلى حزب المحافظين ثم إلى حزب الأحرار ثم العودة إلى حظيرة المحافظين .

كان تشرشل يتمتع بذكاء سياسى رفيع وكان على مستوى عال فى الحكم على قدرات الرجال والحكم على المشاكل ، أما قدراته الخطابية فكانت على مستوى نادر تجعل منه زعيما سياسياً ممتازاً فى أى عصر من العصور . وصل تشرشل إلى أوج عظمته فى حنكته وقيادته الحكيمة لمجريات الحرب العالمية الثانية وشجاعته البطولية فى زعامته فى أحلك ساعات الشعب البريطانى وأخطرها ، وقد بوأه الشعب البريطانى مركزاً رفيعاً بين عظماء تاريخه .